Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ - رتبة الأصل ورتبة الفرع :

رأينا منذ قليل - عند دراستنا للمستوى الصرفى - أن اللغويين اعتقدوا أن الكلمات لاتقف مع بعضها على قدم المساواة ؛ فمنها ماهو أصل ومنها ماهو فرع ، وأن الفروع تنحط دائما عن درجة الأصول ، ثم رتبوا على ذلك أحكاما . ورأينا أن الأصلية والفرعية فكرتان عقليتان . يقول الدكتور تمام حسان : « والقول بأن صيغة ما أصلٌ لكلمة أو صيغة أخرى ، مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث ، فلا يطيق هذا المنهج اصطلاحات مثل (نائب الفاعل) لأن فى ذلك تلميحات إلى أن الفاعل أصل للمرفوع بعد مابنى للمجهول . وليس ذلك كذلك » (٤٠) .

والآن سوف نرى أنهم استخدموا هذا الفرض العقلى فى المستوى النحوى أيضا .

ففى مسألة القول فى رافع الخبر بعد (إنَّ) المؤكّدة ، ذهب الكوفيون إلى أن (إنَّ) وأخواتها لاترفع الخبر نحو (إنَّ زيداً قائمٌ) ، وذهب البصريون إلى أنها ترفع الخبر . غير أن الكوفيين استخدموا فكرة انحطاط الفرع عن الأصل فى تعليلهم لوجهة نظرهم حيث قالوا : « أجمعنا على أن الأصل فى هذه الأحرف أنْ لاتنصب الاسم ، وإنما نصبته لأنها أشبهت الفعل . فإذا كانت إنما عملت لأنها أشبهت الفعل ، فهى فرع عليه ، وإذا كانت فرعا عليه فهى أضعف منه ، لأن الفرع أبدا يكون أضعف من الأصل ، فينبغى أن لايعمل فى الخبر جريا على القياس فى حط الفروع عن الأصول » (٤١) . وواضح -كما قلنا سابقا - أن فكرة حط الفروع عن الأصول هى فكرة عقلية تعود فى الغالب إلى معتقد اجتماعى ، ونحن لانستطيع أن نرجع إلى الواقع اللغوى لكى نرى كيف تنحط الفروع عن الأصول ، بل أننا لنعجز أصلا عن تحديد ماهى الأصول وماهى الفروع .

---

(٤٠) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ١٨١ . وانظر ص ٢٣٠ من هذا البحث فى الفقرة الخاصة بمرتبة الأصلِ ومَرتبة الفرع .

(٤١) كمال الدين الأنبارى : الإنصاف ١٧٦/١ .